@ 564 @ شرع لكم التوبة ، وجعل العقوبة مطهرة للذنوب . ! 2 2 ! أي : تتلقفونه ، ويلقيه بعضكم إلى بعض وتستوشون حديثه ، وهو قول باطل . ! 2 2 ! والأمران محظوران ، التكلم بالباطل ، والقول بلا علم . ! 2 2 ! فلذلك أقدم عليه ، من أقدم ، من المؤمنين ، الذين تابوا منه ، وتطهروا بعد ذلك . ! 2 2 ! وهذا فيه الزجر البليغ ، عن تعاطي بعض الذنوب على وجه التهاون بها ، فإن العبد لا يفيده حسبانه شيئا ، ولا يخفف من عقوبته ، الذنب ، بل يضاعف الذنب ، ويسهل عليه مواقعته ، مرة أخرى . ! 2 2 ! أي : وهلا إذ سمعتم أيها المؤمنون كلام أهل الإفك . ! 2 2 ! منكرين لذلك ، معظمين لأمره : ! 2 2 ! أي : ما ينبغي لنا ، وما يليق بنا الكلام ، بهذا الإفك المبين ، لأن المؤمن يمنعه إيمانه من ارتكاب القبائح ! 2 2 ! أي : كذب عظيم . ! 2 2 ! أي : لنظيره ، من رمي المؤمنين بالفجور ، فا يعظكم ، وينصحكم عن ذلك ، ونعم المواعظ والنصائح ، من ربنا فيجب علينا مقابلتها ، بالقبول والإذعان ، والتسليم والشكر له ، على ما بين لنا ! 22 ! . ! 2 2 ! دل ذلك على أن الإيمان الصادق ، يمنع صاحبه من الإقدام على المحرمات . ! 2 ! 2 المشتملة ، على بيان الأحكام ، والوعظ ، والزجر ، والترغيب ، والترهيب ، يوضحها لكم توضيحا جليا . ! 2 2 ! أي : كامل العلم ! 2 2 ! عام الحكمة . فمن علمه وحكمته ، أن علمكم من علمه ، وإن كان ذلك ، راجعا لمصالحكم في كل وقت . ! 2 2 ! أي : الأمور الشنيعة المستقبحة ، فيحبون أن تشتهر الفاحشة ! 2 2 ! أي : موجع للقلب والبدن ، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين ، ومحبة الشر لهم ، وجراءته على أعراضهم ، فإذا كان هذا الوعيد ، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة ، واستحلاء ذلك بالقلب ، فكيف بما هو أعظم من ذلك ، من إظهاره ، ونقله ؟ وسواء كانت الفاحشة ، صادرة ، أو غير صادرة . وكل هذا ، من رحمة ا لعباده المؤمنين ، وصيانة أعراضهم ، كما صان دماءهم وأموالهم ، وأمرهم بما يقتضي المصافاة ، وأن يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ، ما يكره لنفسه . ! 2 ! 2 فلذلك علمكم ، وبين لكم ما تجهلونه . ! 2 2 ! قد أحاط بكم من كل جانب ! 2 2 ! لما بين لكم هذه الأحكام والمواعظ ، والحكم الجليلة ، ولما أمهل من خالف أمره ، ولكن فضله ورحمته ، وأن ذلك وصفه اللازم آثر لكم من الخير الدنيوي والأخروي ، ما لن تحصوه ، أو تعدوه . ولما نهى عن هذا الذنب بخصوصه ، نهى عن الذنوب عموما فقال : ! 2 2 ! أي : طرقه ووساوسه . وخطوات الشيطان ، يدخل فيها سائر المعاصي المتعلقة بالقلب ، واللسان والبدن . ومن حكمته تعالى ، أن بين الحكم ، وهو : النهي عن اتباع خطوات الشيطان .

والحكمة وهو بيان ما في المنهي عنه ، من الشر المقتضى ، والداعي لتركه فقال : ! 2! 2 أي : الشيطان ! 2 2 ! أي : ما تستفحشه العقول والشرائع ، من الذنوب العظيمة ، مع ميل بعض النفوس إليه . ! 2 2 ! وهو : ما تنكره العقول ولا تعرفه . فالمعاصي التي هي خطوات الشيطان ، لا تخرج عن ذلك . فنهى ا عنها العباد ، نعمة منه عليهم ، أن يشكروه ويذكروه ، لأن ذلك ، صيانة لهم عن التدنس بالرذائل ، والقبائح . فمن إحسانه عليهم ، أن نهاهم عنها ، كما نهاهم عن أكل السموم القاتلة ونحوها . ^ (ولولا فضل ا عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا) ^ أي : ما تطهر من اتباع خطوات الشيطان ، لأن الشيطان يسعى ، هو وجنده ، في الدعوة إليها وتحسينها ، والنفس ميالة إلى السوء ، أمارة به ، والنقص مستول على العبد ، من جميع جهاته ، والإيمان غير قوي . فلو خلي وهذه الدواعي ، ما زكى أحد بالتطهر من الذنوب ، والسيئات ، والنماء بفعل الحسنات ، فإن الزكاء يتضمن الطهارة والنماء . ولكن فضله ورحمته أوجبا ، أن يتزكى منكم ، من تزكى . وكان من دعاء النبي صلى ا عليه وسلم : (اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها) ولهذا قال : ! 2 2 ! من يعلم منه أن يتزكى بالتزكية ، ولهذا قال : ! 22 ! . ! 2 2 ! أي : لا يحلف ^ (أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل ا وليعفوا وليصفحوا) ^ . كان من جملة الخائضين في الإفك (مسطح بن أثاثة) وهو قريب لأبي بكر الصديق رضي ا عنه . وكان مسطح فقيرا من المهاجرين في سبيل ا . فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه ، لقوله الذي قال . فنزلت هذه الآية ، ينهاهم عن هذا الحلف المتضمن لقطع النفقة عنه ، ويحثه على العفو والصفح ، ويعده بمغفرة ا ، إن غفره له فقال :